

الدور الإيراني في الشرق الأوسط بعد الحرب الأمريكية على الإرهاب

الدكتور ساجد شرقي

١- المقدمة :

معظم ما وقع في السنوات التي أعقبت الحرب الأمريكية على الإرهاب بعد ١١ أيلول عام ٢٠٠١ من مواجهات ، كان الهدف ، هو البحث عن الدور الفاعل والنفوذ والتأثير في السياسة الدولية بما يحقق أهداف واستراتيجيات ترسمها الدول لنفسها ، فكل لاعب له دوافع معينة تبرر نفوذها وادوارها، ويقدر ما يتعلق الأمر بادوار كل من إيران والولايات المتحدة الأمريكية بعد المتغيرات الدولية الجديدة بما فيها اجتياح كل من العراق وأفغانستان، والحضور العسكري الأمريكي بقوة في منطقة الخليج العربي ، والدعوة إلى نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في هذه المنطقة وتغيير الأنظمة السياسية فيها ، أدركت إيران الخطر الذي يمكن أن تواجهه مستقبلا ، لاسيما وان الولايات المتحدة الأمريكية قد صنفت إيران ضمن ما يعرف (محور الشر) ، وعلى هذا الاعتبار استخدمت هذه الأخيرة مقومات القوة التي يمكن استخدامها في كل من العراق وأفغانستان وسوريا ولبنان ، فضلا عن موقعها الاستراتيجي المهم ، وثرواتها الاقتصادية ، وامتلاكها مصادر الطاقة المؤثرة في اقتصاد العالم، كل ذلك يمكن إدراجه ضمن العوامل الايجابية التي تسعى إيران من خلالها تجسيد دورها في المنطقة ، فبين الحين والآخر تختبر مدى قوة دورها لمواجهة تحديات الولايات المتحدة الأمريكية في كل من أفغانستان والعراق عبر استخدام تأثيرها في هاتين الدولتين وتصعيد النشاطات ضد تواجد هذه القوات ، ولعل أهم ما يدل ذلك قول شريعة مداري المتحدث الرسمي للرئيس الإيراني ورئيس صحيفة كيهان الذي لخص الآثار التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة بما يلي^(١):

- ١- يجب على الأمريكيين فهم العواقب الوخيمة لأي تصرف أحرق من جانبهم.
- ٢- ستهاجم الجمهورية الإسلامية القوات الأمريكية وحلفاءها في أفغانستان والعراق .
- ٣- ستتطلق عاصفة من الصواريخ ضد إسرائيل بحيث تحول البلاد إلى (جحيم على الأرض قبل ذهابهم إلى الجحيم الحقيقي) .
- ٤- ستوقف الجمهورية الإسلامية تدفق النفط عبر مضيق هرمز ، وتحرم السوق العالمي من ٢٤ مليون برميل في اليوم .
- ٥- الدول العربية الحليفة لأميركا ستعرض وجودها للخطر .
- ٦- ستوجه الدعوة إلى شعوب مصر والأردن (أجزاء من شبه الجزيرة العربية) للانتفاضة ضد حكوماتهم للانتقام من حكامهم ((.

إلا إن الهدف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية تجاه المنطقة هو تأمين الهيمنة على العالم وهذا ما جاء على لسان جورج بوش الذي أكد في خطابه إلى الكونغرس الأمريكي في كانون الثاني ١٩٩١ عشية الحرب على العراق حيث قال ((..منذ قرنين من الزمن والولايات المتحدة الأمريكية تطرح ذاتها نموذجا للحرية والديمقراطية... واليوم في هذا العالم المتغير، تعد القيادة الأمريكية للعالم غير قابلة للتعويض. ان القرن القادم سيكون امريكيا))^(١)

ومن هنا نفهم مدى التناقض في المصالح التي تسبب الصراع بين الدولتين الإيرانية والأمريكية، وفي ضوء هذا الصراع تنعكس الأدوار وبالتالي مدى تعزيز دور الزعامة التي يبحث عنها كل منهم ، وللوقوف على طبيعة هذه الأدوار يمكن تقسيم هذا البحث إلى ثلاث فقرات ، انصرفت الأولى لتعالج اثر التطورات الدولية على منطقة الشرق الأوسط وتنامي الدور الإيراني فيها لتعالج هذه الفقرة التطورات منذ الحرب العالمية الأولى وصولا إلى نهاية الحرب الباردة والحرب على الإرهاب ، التي انعطفت في ضوءها مسار العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية لتبرز إيران كقوة إقليمية مناهضة لأميركا بعد أن كانت حليفة لها قبل مجيء الثورة الإسلامية الإيرانية واستلامها السلطة عام ١٩٧٩ ، أما الفقرة الثانية فقد انصرفت لتعالج الدور الإيراني في

ظل الأوضاع الإقليمية والعالمية الجديدة، أما الفقرة الثالثة فتاتي الخاتمة والاستنتاجات لتضع لنا السيناريوهات المحتملة والبدائل المتاحة.

٢- اثر التطورات الدولية على الدور الإيراني في منطقة الشرق الأوسط

لقد أصبح الصراع دائم الحضور في منطقة الشرق الأوسط خصوصا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ ، وهذا ما أرادت الولايات المتحدة الأمريكية، ويعود ذلك إلى العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب التي احتدت مؤخرا ، فكل التحليلات تتجه نحو صعوبة الحديث عن الحوار بين الحضارتين الشرقية والغربية^(٣) وهذا الصراع بطبيعة الحال هو نتاج الجذور الممتدة إلى حقبة زمنية الذي يفضي بطبيعة الحال إلى تجسيد الأدوار لتصبح ذات نفوذ وتأثيرا في محيطها الإقليمي والدولي ، ولأجل فهم طبيعة هذه الصراعات نتناول في هذه الفقرة من البحث اربع مراحل كل مرحلة منها توضح لنا مزيد من الاحداث والمتغيرات التي وصلنا الى المرحلة الاخيرة التي نشهدها الان لتبرز على اثرها ايران كقوة اقليمية تبحث عن واقع جديد وخارطة جديدة بل صار تدويل هذا الدور من اهم ما يميز العلاقة بين ايران والدول الاقليمية والدولية وخصوصا في منطقة الشرق الاوسط.

٣-١ التطورات بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى

شهدت هذه المرحلة حدثا جديدا وخارطة جديدة لمنطقة الشرق الاوسط ، ولعل من اهم الاحداث التي حصلت بعد الحرب والتي ما زالت اثارها مستمرة في هذه المنطقة هي:

- ١- وعد بالفور الذي كانت اهم نتائجه انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .
- ٢- اتفاقية سايكس بيكوالتي قسمت فيها المنطقة بين المنتصرين الذين دخلوا معظم بلدان منطقة الشرق الاوسط كمستعمرين .
- ٣- بروز مشكلة اسرائيل والقضية الفلسطينية في ارض فلسطين وازدياد الهجرة اليها التي كانت سببا في تكوين المقاومة المسلحة وبدأ الصراع المسلح .

٤- تراجع قوى عالمية (كالدولة العثمانية) وبروز قوى جديدة (كبريطانيا) والتي تركت الساحة فيما بعد الى الولايات المتحدة الامريكية والتي بدأت الصراع من اجل تحقيق اهدافها بعيدة المدى والذي نشهده فيما بعد من خلال هذه الدراسة.

٢-٣ التطورات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية

لعل ابرز الاحداث المؤثرة في الساحة الدولية والمرتبطة بمضمون البحث المطروح

١- قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ بعد قرار التقسيم عام ١٩٤٧ .

٢- بدأ الاستعمار الثقافي للدول التي تحررت من الاستعمار العسكري.

٣- تراجع قوى كبرى (دول المحور) ثم بريطانيا وفرنسا وبروز قوى جديدة (الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي) لتتغير خريطة العالم من خلال الاستقطاب ضمن معسكرين متنافسين احدهما يمثل العالم الاشتراكي المتمثل بقوته العسكرية في (حلف وارشو) والعالم الرأسمالي المتمثل بقوته العسكرية (حلف الناتو) ، لتبدأ في ظل هذا السيناريو الحرب الباردة وتعزيز الاستقطاب الثنائي .

٢-٣ التطورات بعد الحرب الباردة

انتهت الحرب الباردة بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي وكانت من نتائج ذلك هو انهيار الاتحاد السوفيتي وتفرد الولايات المتحدة الامريكية كقوة كبرى دون منافس لها من حيث القوة الاقتصادية والعسكرية واصبحت مؤثرة بشكل مباشر في الاحداث الدولية ، ولعل من اهم المتغيرات الدولية هو وصول القوة الامريكية الى اهم منطقة في العالم من حيث قيمتها الاستراتيجية والاقتصادية وهي منطقة الخليج العربي بعد اجتياح العراق لدولة الكويت لتتطلق الولايات المتحدة الامريكية بمشروعها الكبير والذي تخطط له منذ خروجها من العزلة الدولية وهذا بطبيعة الحال جزء من مراحل اخرى لاحقة للهيمنة من خلال قيادتها العالم^(٤) ، وهذا ما أعلنه الرئيس بوش في اب عشية انتصاره في هذه الحرب^(٥)، وبدأت أذرع العولمة تعزز هذا الاتجاه سواء كانت هذه عولمة سياسية ام عولمة اقتصادية ام عولمة ثقافية ام عولمة اعلامية^(٦) بواسطة اليات تقنية مستفيدة من الثورة التقنية الضخمة الجديدة في عالم الاتصالات ، حيث استخدمت هذه

الولايات في تكريس مشروعها في الهيمنة على العالم بعد انتهاء الحرب الباردة مستثمرة انتصارها التاريخي على الاتحاد السوفيتي .

٢-٤ الحرب على الارهاب

بعد احداث ١١ أيلول ٢٠٠١ وجدت الولايات المتحدة مسوغا لتعزيز دورها لقيادة العالم واستطاعت ان تكسب المساندة لها من قبل المجتمع الدولي من منطلق قضية تشترك بها دول العالم وهي (الحرب على الارهاب) وبدأت تكثف من سياستها في كل المجالات لدعم قضيتها وبالفعل حققت نتائج هامة رفدت استراتيجيتها الجديدة في تكريس الهيمنة على العالم، فبدأت في الحرب على افغانستان معتمدة على مسوغات تبرر تلك الحرب والتي يفهمها العالم ، حيث الهجوم على الولايات المتحدة الامريكية وتدمير برجى التجارة الدولية داخلها عجل من تغير مفهوم الامن القومي للولايات المتحدة الامريكية لينصرف الى ماوراء حدودها بدلا ان تنظر الى امنها الداخلي فعمدت الى نشراساطيلها و قواعدها العسكرية عبر المحيطات ، وتكثف من حاملة طائراتها فضلا عن الغواصات والصواريخ العابرة القارات، كل ذلك استعدادا لمعاقبة اللذين هاجموها ومن ثم القضاء عليهم وتعزيز النفوذ لتأمين الهيمنة على المنطقة والعالم ، من هنا كان مبرر الهجوم على افغانستان كمرحلة اولى مستخدمة اذرع العولمة العسكرية بدلا من اذرع العولمة السياسية في معالجة هذه الظاهرة ، و يفهم من ذلك ان الهدف يبقى دون تغيير بالرغم من تغير الوسيلة ،حيث تغير العالم وانتقل الى مرحلة جديدة برزت فيها معالم وقوى مهمة تطابقت بعضها واندمجت اندماج تام ، فاسرائيل ومشروعها الاقليمي مثالا باتيرافق المشروع الامريكي الذي اضحى يتبادل الادوار في منطقة الشرق الاوسط، ويقابل ذلك بروز قوة اقليمية مضادة في المنطقة ولعل اكبرها هي القوة الايرانية كونها تمثل ظاهرة الاسلام السياسي المتشدد حسب وجهة نظرها وهذا ما استدعى تصنيفها وفق هذا المفهوم ضمن ما يسمى (محور الشر)^(٧)، ومن هنا نفهم الفكر السياسي العالمي الغربي بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص يركز على ظاهرة الارهاب دون وضع تعريف لها الامر الذي يمهد هذا المصطلح لحرب شاملة في مجالات عدة وليست حرب عسكرية فقط وهذا ما عبر عنه الباحث (فريدمان) الكاتب في جريدة النيويورك تايمز بقوله ((ان الحزب الدينيلاي يمكن ان يقاتل بالجيش وحدها بل يجب ان يقاتل في

المدارس والمساجد والكنائس والمعابد ولا يمكن ان يهزم دون مساعدة اللأئمة والاحبار والكهنة ((
 (٨) الامر الذي يفسر الاتجاه الجديد في السلوك الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية في حربها
 على الارهاب وهذا ما يفسر رصدها ٢٠٠ مليون دولار من اجل الحصول على دعم وسائل
 الاعلام في الشرق الاوسط (٩) .

ولعل ذلك اسهم بشكل فعلي في تقارب وجهات النظر على المستوى العالمي والاقليمي
 والاقناع بمسوغاتالحرب على الارهاب من خلال احتلال افغانستان، فلو امعنا جيدا في الجوانب
 المتعلقة بذلك نجد ان الحملة الامريكية لهذا الاحتلال تتم الا من خلالالتسهيلات التي منحها
 لها دول الجوار الاسلاميلتلك الدولة ، فالحريكانت تدار من خلال قاعدة (خرج) السعودية
 (١٠) وتمون من قاعدة الغدير من قطر ، وحاملة الطائرات الامريكية التيكانت تقصف افغانستان من
 مياه اقليمية عربية واسلامية ، ومن هنا استطاعت الولايات المتحدة الامريكية ان توظف امكانيات
 هذه الدول في تحقيق اهداف استراتيجية شاملة بعيدة المدى في منطقة الشرق الاوسط ولعل
 اهمها:

١- تحقيق امن اسرائيل ، فهناك تطابق للمشروع الامريكي الاسرائيلي في المنطقة يهدف الى
 تقوية اسرائيل وجعلها قوة اقليمية كبيرة في المنطقة تستطيع ان تخوض حروبا سريعة وقصيرة
 لتتصر عليها من جانب ، ولتجنب الدخول في حرب استنزاف ومقاومة طويلة من شأنه يحيد
 تفوقها العسكري والتقني وهذا ما حصل بالفعل مع حرب تموز عام ٢٠٠٧ في جنوب لبنان ،
 الامر الذي يجعل من تواجد الولايات المتحدة الامريكية بكل قواها العسكرية في قلب المنطقة ،
 وهذا بطبيعة الحال سيجعل من اسرائيل اكثر قوة وقدرة .

٢- تقوية الوجود العسكري الامريكي في المنطقة وتطوير دول الجوار لاسيما وان بعض
 هذه الدول لاتربطها علاقة جيدة ولها مشاكل معها ولعللايران افضل مثال على ذلك ، وبانت هذه
 الاخيرة في هذه المرحلة على الاقل هي المستفيدة من حرب امريكا على افغانستان وايضا هي من
 اكثر المستفيدين من الاجتياح الامريكي وتغير نظام الحكم في العراق (١١).

لاسيما وان ايران لديها طموح في مجالات عدة تتعارض مع الاهداف الاستراتيجية للولايات
 المتحدة الامريكية ، فأيران فيها نمو اقتصادي وكثافة سكانية وتتسلح بسرعة ويتوقع ان تصبح

دولة نووية في لحظة ما^(١٢) وتوجد في منطقة حساسة ذات مصالح ضخمة جدا لأمريكا والغرب ، لذا فالولايات المتحدة الأمريكية لم تكن بمنأى من هذا البعد الاستراتيجي فهي تطوق إيران من الشمال من خلال تواجدها في أفغانستان ، وتطوقها من الجنوب من خلال قواعدها في الخليج ، وتطوقها أيضا من الغرب من خلال تواجدها في العراق، وبذلك يسهل على أمريكا ان تحتوي إيران سياسيا وعسكريا .

من جانب اخر فان السيطرة على النفط يعتبر من اولويات الاستراتيجية الأمريكية ، فهناك عدد من مخزونات النفط الاستراتيجية في العالم: المخزون الاول هو المخزون في السعودية وهو يعادل ميزانية أمريكا مئة عام^(١٣) ، والولايات المتحدة الأمريكية موجودة بقوة في دول الخليج والنفط الخليجي موظف لصالح الاقتصاد الرأسمالي والاستقرار في السوق الرأسمالية العالمية وبالسيطرة على النفط العراقي يتم التحكم بالمخزون الثاني ، اما مخزون بحر قزوين فحول المنطقة هناك بحاجة الى الشركات الأمريكية كونها غير قادرة على ان تستثمر هذا المخزون ، ومع ان تلك المنطقة كانت في يوم من الايام تحت نفوذ الاتحاد السوفيتي الا ان روسيا الان وريثته لاتستطيع ان تنافس الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة لانها غير قادرة على ان تستثمرها ، فالفرصة سانحة الان لها ولشركاتها النفطية بأن تستثمر هذا المخزون في الوقت المناسب والمجدي اقتصاديا^(١٤)، وبالتالي تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية ان تسيطر على العالم من خلال التحكم بمخزونات الطاقة العالمية في ظل حضارة يسيرها النفط وعلية ليست هي بحاجة الى ان تشعل حربا باردة مع اي دولة كبرى منافسة لها كالصين وروسيا واليابان الدول التي تشاركها المصالح في المنطقة، مما قاد ذلك الى ان يتجة الصراع في المنطقة بعدا اخر وهو الصراع الاقليمي الذي يخدم الاستراتيجية الأمريكية لتعزيز دورها من جانب ولضمان اتجاه سير الاوضاع السياسية باتجاه يحقق لها مطامحها واهدافها، وفي ظل هذه الاوضاع برزت إيران لتلعب هذا الدور ، وربما يؤدي هذا الى تركيز الصراع بجوانب مختلفة تتيح للولايات المتحدة وضع البدائل بما ينسجم وتوجهاتها الاستراتيجية.

٣- الدور الإيراني في ظل الصراع الاقليمي

يختلف الدور لاي دولة باختلاف طبيعة النظام السياسي وما يمتلك من مقومات اساسية تمكنه من ان يلعب دورا مافي محيطه معتمدا على قنوات محددة ينطلق منها صانعوا القرار لتقوم بتنفيذها السياسة الخارجية ، الامر الذي ينفرد فيه النظام السياسي الايراني بسبب خصوصيته لتعدد مصادره ومن اهمها : ١- الدستور ٢- القائد او المرشد ٣- مجمع تشخيص النظام ٤- مجلس الخبراء ٥- مجلس الشورى ٦- مجلس صيانة الدستور ٧- الحكومة او السلطة التنفيذية المتكونة من مجلس الوزراء ، رئاسة الجمهورية، مجلس الامن الوطني ، ووزارة الخارجية (١٥) . ، وبجانب هذه المصادر يوجد هناك تياران يحكمان في ايران هما المحافظون والاصلاحيون ، الامر الذي ينعكس على مفردات السياسة الخارجية وبالتالي ينعكس ايضا على طبيعة الدور الذي تؤديه والثابت التي لايمكن المساس بها (١٦)

ان هذه المزايا التي قد ينفرد بها النظام السياسي في ايران تشكل عاملا مهما ينعكس على طبيعة الصراع والمهام والادوار التي يمكن ان تقوم بهافي منطقة الشرق الاوسط ومنطقة الخليج، ففي اعقاب حرب الخليج عام ١٩٩١ بدأت سياسة الاحتواء المزدوجة الامريكية تجاه كل من العراق وايران وظهرها كقوة اقليمية عالمية وفي منطقة الخليج العربي، ومن نتائج هذا الاحتواء هو السيطرة على العراق بشكل تام بعد احتلاله عام ١٩٩٣، والامر الاخر هو اطلاق مفهوم التوتر بين اطراف ثلاثرئيسية في المنطقة هي ايران، مجلس التعاون الخليجي (السعودية اهمها) ، والولايات المتحدة الامريكية ، ومن هنا اصبحت العلاقات علاقات صراع تحتل ايران قطبا والقطب الاخر تشكله الولايات المتحدة الامريكية ودول الخليج العربي.. وازاء هذا الصراع وهذا الوضع الجديد في المنطقة كيف يمكن ان تكونا للرؤيا الايرانية لادارة الصراع ولتلك التفاعلات في المنطقة؟ وكيف تسعى ايران لتعظيم دورها وفق هذه التفاعلات؟، والاجابة على هذين التساؤلين يمكن ان تقودنا للمضمون العنوان المطروح في مقدمة بحثنا من خلال تناول الرؤيا الايرانية وكيفية اداء دورها للتفاعلات الاقليمية الرئيسية في المنطقة عبر تناول ثلاث محاور اساسية هي :

١- التفاعلات الاقليمية بين ايران والخليج .

٢- التفاعلات الاقليمية بين ايران والعراق

٣- التفاعلات الاقليمية بين ايران والولايات المتحدة الامريكية .

٣-١ التفاعلات الاقليمية بين ايران ودول الخليج العربي

من خلال قراءة متمعنة في تاريخ الدولة الايرانية يستنتج منها امكانية التمييز الحضاري واللغوي والثقافي الذي يؤهلها للاضطلاع بدور اقليمي في المنطقة ، فضلا عن موقعها الهام الذي تحتله والذي يمكنها من التحكم في عصب اقتصاديات دول المنطقة وهو الطاقة ، ولعل علاقات ايران بدول الخليج العربي تشكل ابرز التفاعلات الاقليمية التي تعكس بوضوح الرغبة الايرانية في ممارسة دور اقليمي بارز من خلال اقامة شبكة من المصالح الاقتصادية والثقافية مع تلك الدول تدعم دورها في المقام الاول كهدف غير معلن والذي يستشف منه هناك رغبة ايرانية في تحقيق الامن والاستقرار بين ضفتي الخليج العربي (١٧) ويتضح ذلك في حقبة الرئيس خاتمي حيث شهدت العلاقات بين الجانبين شهدتان انفراج في اعقاب توليه مقاليد الحكم في ايران عام ١٩٩٧ وهو ما تجلّى في الحضور الخليجي المكثف لقمّة طهران عشية حكمه حيث قام وزير الخارجية انذاك كمال خرازبيزارة دول الخليج ورفع شعار ازالة التوترات مع العالم لاسيما دول الجوار وانطلاقا من هذا شهدت العلاقات الايرانية الخليجية انفراج ملموس في بعدها السياسي والاقتصادي والامني وخصوصا مع المملكة العربية السعودية (١٨) .

وقد تمتوقع معاهدة تعاون تجاري اقتصادي واستثماري ومهني وعلمي وثقافي عام ١٩٩٩ وتأسست اول لجنة تجارية بين السعودية وايران في العام ذاته، فضلا عن اللجنة الاقتصادية المشتركة واللجنة السياسية ، واتفاق نقل المواطنين واعادة افتتاح الخط البحري بينهما (١٩) اضافة الى الكويت التي لها مشروع لنقل المياه من ايران اليها، ووقعت قطر خمس اتفاقيات ومذكرات تفاهم في المجالات الثقافية والفنية مع الجانب الايراني، والامارات العربية المتحدة حيث تعد دبي شريك تجاري مهم لايران كونها المركز الرئيسي لاعادة التصدير الى ايران التي تبلغ اجماليها ١٠٥ مليار دولار عام ٢٠٠٠، هذا بالاضافة الى نشاط مجلس العمل الايراني في دبي والذي يهدف الى تطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدين خاصة وان عدد الشركات الايرانية

العاملة في الامارات قد بلغ ثلاثة الاف شركة تعمل في مختلف القطاعات، يضاف ذلك الى ما شهده قطاع السياحة من تطورات حيث بلغ عدد السائحين الايرانيين الى الامارات ليبلغ ٢٥ ألف سائح شهريا ،ويضاف الى ذلك كله ابرز المؤشرات للتقارب الايراني الخليجي هو توقيع ايران اتفاق امني مع المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠١ تضمنت مكافحة الجريمة المنظمة والارهابوكذلك التهريب والتعاون في المجال التدبيي والامني والانفاذ البحري وتسيير سبل الحجيج للايرانيين ،وتتعدد اشكال وصور التفاعلات الايرانية الخليجية (٢٠) .. الا ان الموضوع الهام ازاء تلك العلاقة على مدى تاريخها المعاصره هو كيف تقرأ ايران تلك التفاعلات وماهي الرؤية الايرانية لها؟ ويمكن الاجابة تكون كالاتي :-

١- ان ايران ترفض مخاطبة مجلس التعاون الخليجي بوصفه منظمة تمثل دول الخليج العربي ، وهذا متأتي من الرغبة في ممارسة دور اقليمي يبرز فهي تتعامل مع هذه الدول بشكل فردي(٢١) وما يؤكد هذا عندما رفضت ايران استقبال اللجنة الثلاثية التي شكلها مجلس التعاون الخليجيلحل قضية الجزر الاماراتية الثلاث التي تقع تحت السيطرة الايرانية وظلت تلك المشكلة دون حل لغاية هذه اللحظة . فايران تنتظر الى ان التفاوض مع هذه اللجنة يعني الاقرار بوجود قضية للخلاف ليس مع الامارات فحسب انما مع الدول الخليجية وما يؤكد ذلك اعلانمستشار وزير الخارجية الايراني صباح زكنة انذاك بان حكومته ترحب باعضاء اللجنة الثلاثية بصورة منفردة(٢٢).

٢- ترى ايران ان مسؤولية امن الخليج هو مسؤولية الدول المطلة عليه، وبالتالي فهي لاتحدد تعريف محدد لمفهوم المصالح الاقليمية المتبادلة لان ذلك يعطي معاني متباينة ومتعارضة حسب نظرها (٢٣)، فاعلان دمشق عام ١٩٩١ على سبيل المثال انقذته ايران بشدة (٢٤) كونه استبعدتها من الترتيبات التي تضمنها، فضلا عن ذلك اعتبرت هذا الاعلان هو تقدير لمساهمة الولايات المتحدة الامريكية لتحرير دولة الكويت والذي اشار له الاعلان صراحةمعتبرة ان الولايات المتحدة الامريكية هي العدو التقليديلايران .

٣- ان قضية الوجود الاجنبي يثير حفيظة ايرانالتي تشجع دول المنطقة الى تامين الامن والاستقرار دون الحاجة الى الاخرين، وهذا ما اكده احمد خاتمي عندما تم الاتفاق الامني مع

العربية السعودية واعتبره نموذجا جيدا للتعاون المثمر والناجح بين دول المنطقة واعرب في حينها عن امله ان تكون الاتفاقية مقدمة للوصول الى اساليب بين دول المنطقة لتأمين الامن والاستقرار دون تدخل احد (٢٥).

٤- هناك رغبة إيرانية للبحث عن الاسواق لتصريف منتجاتها من خلال الاسواق الخليجية الفردية فضلا عن الرغبة الى الوصول الى حصص واسعار مناسبة في ظل منظمة الاوبك من خلال تنسيق المواقف مع دول المنطقة، ومن هنا نجد ان ايران لاتفصل بين الواقع الاقتصادي وتحركاتها في المنطقة لاسيما وهي تعاني من نسبة البطالة التي تقدر بحوالي ٦١% فضلا عن ارتفاع معدل التضخم (٢٦).

٥- تسعى ايران الى تطوير قدرتها التسليحية بما يفوق احتياجاتها الفعلية وتنوع التسليحوخير ما يدل على ذلك هو التعاون الرسمي الايراني في هذا المجال .

٦- لم تكف ايران بادانة الوجود الاجنبي حيث طرحت مشروعات امنية لمنطقة الخليج اهمها مشروع السلام الاسلامي الذي طرحته عام ١٩٩٠ والذي يقوم على اربع محاور هي: (٢٧)

١- توسيع مجلس التعاون ليشمل إيران ثم العراق .

٢- تشكيل ايدولوجية اسلامية الغطاء للتنظيم الامني .

٣- تستخدم ايران القوة التي حصلت عليها من هذا التنظيم (اي القوة التي تتحكم في نفط الخليج واحتياطاته) في مواجهة الغرب واسرائيل وبالتالي خدمة المصالح الايرانية .

٤- انشاء صندوق مالي تموله دول مجلس التعاون الخليجي لاعمار العراق وايران .

٣-٣-٣ التفاعلات الإقليمية بين إيران والعراق

يعتبر العراق في مقدمة في مقدمة الاهتمام السياسي لصناع السياسة الايرانية وربما يعزو ذلك لسببين رئيسيين : الاول هو عامل الجوار الجغرافي، والثاني هو الثقل الاقليمي، حيث ايران تعتبر

العراق احد القوى الاقليمية التي لايمكن تجاهلها عند النظر الى هيكلية موازين القوى في المنطقة وذلك لعدة اعتبارات منها القدرة البشرية للعراق الذي يزيد سكانه على العشرين مليون نسمة، فضلا عن احتلال العراق عالميا بعد المملكة العربية السعودية المؤكدة في ارصده التي تزيد عن ١٢٤ مليار برميل تكفيه لتكفيه لانتاج اكثر من ثلاثة ملايين برميل يوميا لمدة تزيد على المائة عام^(٢٨)، ومن هنا يدرك صانعو القرار السياسي الايراني اهمية الورقة العراقية في التوازنات الاقليمية الراهنة والمستقبلية، وعليه فان ايران تدرك ان تعزيز العلاقات مع العراق ينعكس بشكل مباشر على الدور الذي يمكن ان تؤديه في الترتيبات الاقليمية الحالية والمستقبلية الذي يركز على جملة من النقاط اهمها:-

١- مما لايقبل الشك ان ايران تدعم نفوذها في الخليج من خلال توثيق علاقتها مع العراق وهذا يجعلها مرشحة بقوة لدور الشريك الفاعل في اي ترتيبات امنية مستقبلية، وهو ما تسعى اليه ايران على الرغم من المعارضة الاقليمية والدولية لهذا الدور .

٢- تجمع ايران مصلحة مع العراقي تسعى لاستخدام الورقة العراقية كأداة مهمة في سياستها الخارجية لان صناع القرار السياسي الايراني يدركون الحاجة الفعلية لتعزيز دورهم في العراق كي تقويض المشروع الامريكي في المنطقة اولا ، وليكونوا مستعدين لليوم التالي لمغادرة الولايات المتحدة الامريكية لـ (مليء الفراغ) وبالتالي بسط نفوذها مستفيدة من تجربتها في لبنان من خلال دعم اصدقائها في الداخل وتعزيز قدراتهم وجعلهم الاقوى فيالساحة اللبنانية^(٢٩).

٣- تخشى ايران استقرار العراق في ظل حكومة غير موالية لها فربما توظف هذه الحكومة ضدها وخصوصا عندما يصار لها الانضمام الى مجلس التعاون الخليجي وبالتالي اعادة تشكيل الاطار الامني الاقليمي بطريقة تصد مصالح ايران، فالاسلحة التي تستخدم لمهاجمة الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها في العراق ماهي الا لمعرفة ان الايرانيين لديهم القدرات في العراق)^(٣٠)

٤- تريد ايران ان تلعب دورا اقتصاديا في العراق حيث قيمة واردات العراق مع ايران زادت نسبة ٣٠% منذ عام ٢٠٠٣^(٣١) وقد اشار محافظ النجف حول ذلك بقوله (ان الحكومة الايرانية تقدم

الى النجف ٢٠ مليون دولار بالسنة من اجل بناء وتحسين المنشآت التي تستقبل الزائرين والحجاج الذين يقدر عددهم باكثر من ٢٢ الف إيراني كل شهر (٣٢).

٣-٤ التفاعلات الإقليمية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية

لو نظرنا إلى طبيعة العلاقات الإيرانية الأمريكية خلال عقد التسعينات نلاحظ تميزها بالمد والجزر وما الدعوات التي يطلقها احد الطرفين بشأن التقارب عادة ما تواجه بتحفظ من الطرف الآخر (٣٣). وهذا متأني من تعارض الرؤى والمصالح ومظاهر الخلاف بين الجانبين تدفع نحو تعميق هوة الخلاف ، فمن منظور الرؤية الإيرانية للتفاعلات الإقليمية والدولية ينطلق من ان إيران تسعى لاطلاق دعوات للحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية لاقناع الادارة الأمريكية ان إيران اصبحت ضمن دول المنطقة ولم تعد مصدر تهديد لها ولا داع الى عزلتها ، في حين نجد الولايات المتحدة الأمريكية انطلاقا من المواقف الإيرانية المعلنة تجاه القضايا الإقليمية تسعى الى صياغة ترتيبات أمنية مفادها الربط بين النظام الأمني الخليجي الجديد والعناصر الأخرى لمشروع النظام الشرق اوسطي وخاصة تسوية الصراع العربي الاسرائيلي وتطبيع العلاقات العربية - الاسرائيلية وضبط التسليح في المنطقة بما يحول دون ظهور قوة اقليمية يكون في مقدورها تهديد المصالح الأمريكية او اعاقه المشروع الأمريكي للسلام في الشرق الاوسط (٣٤) وهو الامر الذي يتعارض مع التوجه الإيراني الساعي لدور اقليمي متميز وهو ما يتضح ابتداءا باعلان طهران مواقف تعارض مع واشنطن بشأن مفهوم امن الخليج وانتهاءا بسعي إيران لزيادة تسليحها كما ونوعا (٣٥)

وانطلاقا من هذا الطرح يمكن تفسير مظاهر المد والجزر في العلاقات بين الجانبين خلال العقدين الماضيين ما يلي:

- تجميد ارصدة إيرانية بمليارات الدولارات في بنوك الولايات المتحدة الأمريكية .
- ايقاف التبادل التجاري المشترك .
- منع الدول الأخرى من الاستثمار في إيران من خلال قانون داماتو .
- تسليح العراق وتشجيعه على خوض حرب ضد إيران دامت ثمان سنوات .

- الزج بحركة طالبان في افغانستان ودعمها بهدف زعزعة الجناح الشرقي للامن الايراني.

- التشجيع والمسانده الفعلية للمحور الامريكى - التركي - الاسرائلي - الازربيجاني في منطقة بحر قزوين واسيا الصغرى .

الا ان احداث ١١ ايلول وما ترتب عليها من تداعيات كانت فرصة سانحة لايران لاستعادة وتطمين على الاقل امريكا عندما سارعت الى ادانة الهجمات ، فضلا عن تاكيدها على عدم ابواء اي من عناصر القاعدة في ايران ، ولكن هناك ثمة عقبات حالت دون التقارب من بينها

١- الضغوط الاسرائيلية التي ترى في مثل هذه العلاقات تهدد مصالحها

٢- الصراع الداخلي بين المحافظين والاصلاحيين حول مدى التقارب بين الدولتين

٣- تصنيف الادارة الامريكية ايران ضمن (محور الشر) .

من هنا يمكن الوصول الى استنتاج مفاده ان الدور والانفجار في العلاقات بين الجانبين يعني قيام دور فاعل لايران في امن الخليج وهو ما يتعارض مع المصالح الامريكية في منطقة الشرق الاوسط بشكل عام ومنطقة الخليج بشكل خاص، وعلى الرغم من المعارضة الامريكية للدور الاقليمي لايران في هذه المنطقة لاتزال هناك مصلحة امريكية تقضي اما الابقاء على قنوات اتصال مع ايران او انتهاج استراتيجية جديدة قد تغير النظام في ايران وهذا خيار مطروح من بين الخيارات كما تشير بعض التقارير^(٣٦) الا ان الولايات المتحدة الامريكية تدرك بان ايران تعد احد مفاتيح حل ازمة الطاقة في الولايات المتحدة اخذت بنظر الاعتبار انها تعد اكبر مصدر للنفط بين دول اوبك وخامس اكبر مصدر للنفط العالمي ، وتفترض مصادر الطاقة الامريكية ان انتاج النفط الغاز الطبيعي الايراني سوف يلبي ٥% من احتياجات العالم للطاقة في العامين الماضيين وتزايد الطلب العالمي بنسبة ٨٠%^(٣٧).

٤- الخاتمة والاستنتاجات

تتسم السياسة الايرانية على اختلاف توجهاتها بان لها قنوات محددة ينطلق منها صانعو القرارات تعتمد بتفسيرها ومن ثم تنفيذها من خلال السياسة الخارجية ، مما يمكن ان يحدد ذلك قوة دورها وتأثيرها في المحيط الاقليمي والدولي الذي يجسده التفاعل بين عاملين اساسيين هو السياسة الداخلية والتماسك بين الاطراف التي تشترك في بناء الدولة ومقوماتها من جانب وبين السياسة الخارجية الوسيلة التي من خلالها يتم تحقيق الاهداف الاستراتيجية والاهداف الشاملة للدولة وبناء علاقاتها مع المجتمع الدولي من جانب اخر، وبالتأكيد تختلف الدول من حيث نفوذها وتأثيرها في المجتمع الدولي وفقا لمدى التماسك الداخلي اولا ، وصنع السياسة الخارجية وطبيعة صنع القرارات الخارجية ثانيا ، فداخليا تتميز ايران بتعدد مصادر السياسة فهناك ((الدستور ، والقائد او المرشد (مجمع تشخص مصلحة النظام - مجلس الخبراء) ، مجلس الشورى الاسلامي (مجلس صيانة الدستور)، الحكومة او السلطة التنفيذية (مجلس الوزراء - رئاسة الجمهورية - مجلس الامن الوطني)، وزارة الخارجية)) فضلا عن وجود تياران للحكم في ايران هما الاصلاحيون والمحافظون بطبيعة هذا التنوع في مصادر القرار يؤثر حتما في مجريات السياسة الخارجية، ومهما كان من تنوع في مدخلات السياسة هناك ثوابت تحدها المصلحة العامة للبلد لا يمكن المساس بها يتفق عليها جميع السياسيين الايرانيين هي الحفاظ على مكانة ايران (ورسالتها التاريخية) المتمثلة في اعتزازها بهويتها الاسلامية الى حد الذي يؤمن به الفرد العادي بان بلده يسهم في دعم الاسلام اكثر من اي دولة اخرى.

ان هذا الصراع ينعكس جليا على الدور الذي يمكن ان تلعبه ايران في المنطقة منافسة للولايات المتحدة الامريكية ، ففي اعقاب حربها بعد اجتياح العراق للكويت عام ١٩٩١ وبدء ما اطلق عليه سياسة الاحتواء المزدوج تجاه كل من العراق وايران وظهور الولايات المتحدة الامريكية كقوة اقليمية عالمية في المنطقة ، فالحديث عن مثلث الصراع في الخليج بين ايران والعراق والمملكة العربية السعودية حل محله مفهوم اخر وهو مستطيل التوتر في منطقة الخليج الذي يعكس بوضوح الحالة الراهنة للعلاقات الاقليمية وادوارها بين طرفين رئيسيين هما الولايات المتحدة

الأمريكية وإيران ، ومن هنا بدأ العالميركز انظاره الى ايران وخصوصا بعد اصرارها على المضي قدما في تحقيق برنامجها النووي الذي اثار حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولي وبدأت ايران تدفع الثمن في ظل هذه الاوضاع، وخصوصا بعد اتخاذ قرار من مجلس الامن بفرض عقوبات على ايران والسعي نحو مزيد من هذه القرارات في حال عدم تعاون ايران في هذا المجال . مما اثر ذلك سلبا وبدأت المنطقة تتمحور حول اقطاب في ظل الدعوات الأمريكية لتشكيل ما يعرف (الاعتدال العربي) ودعمه سياسيا وعسكريا ليكون في مواجهة الدور الإيراني ، وفي ظل هذه التجاذبات وهذا الصراع يمكن تسجيل مايلي :

١ - لكي تكون دولة ايران دولة قوية وعصرية سليمة ويمكن لها ان تصبح قطبا للاستقرار والتقدم في المنطقة ، على صناعات القرار وصناعة السياسة فيها ان يوضحوا للمجتمع الدولي فيما اذا كانت قضية ايران الاساسية هل ترويح لايديولوجية معينة ام التعاون الدولي ، وعلى ما يبدو ان ذلك يقلق الولايات المتحدة الأمريكية لاسيما و حسب ما هو معلن لها انها تقود حملة لمكافحة التطرف والارهاب ونشر الديمقراطية .. الخ ، وهدف دبلوماسية الدول الست مؤخرًا) الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والمانيا، وروسيا، والصين (هو ضرورة الزام ايران بمواجهة هذا الاختيار.

٢ - ان المطلوب في العلاقات مع ايران هي دبلوماسية تنتقلها الى اقامة علاقات طيبة مع المجتمع الدولي من خلال ايجاد قوانين دولية تؤدي الى الى احترام الدولها وحققها في ممارسة ماتراه مفيد لبلدانها على الجميع المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية .. وهذا ما يعزز الثقة المتبادلة وبالتالي يؤدي الى الاستقرار بدلا من الصراع والبحث عن الادوار من خلال تعزيز القوة العسكرية ومهاراتها التكنولوجية ، كما هو الحال ما يجري في قضية البرنامج النووي الإيراني ... ولتحقيق تلك العلاقات على الولايات المتحدة الأمريكية ان تترك الاختيار لايران بطريقة تعاملها مع المجتمع الدولي وفقما يعزز مكانتها بعيدا عن الشروط والضغط بما تدفعها في الاتجاه الاخر .

٣ - ان التحديات الإيرانية والاصرار الأمريكي على عزل ايران وابعادها عن ان تلعب دورا في المنطقة ، جعل الاقتراب في وجهات النظر تكاد ان تكون اكثر تعقيدا، ومن هنا فان

ايران لم تصل الى الان لاختيار نموذج العلم الذي تسعى اليه والذي يؤدي الى الاستقرار الدولي، ومن هنا ركزت ايران في هذه المرحلة على جمع اكبر قدر ممكن من القدرات النووية حتى تصبح في وضع يسمح لها بالتهديد باستئناف العمل في برامج الاسلحة كوسيلة لتعزيز نفوذها في المنطقة حتى حال تعليقها لعمليات تخصيب اليورانيوم .

٤ - بالنظر الى الوضع الدولي الجديد نجد ان الولايات المتحدة الامريكية في حال قرارها بشن هجوم على ايران لن تستطيع ان تحشد المجتمع الدولي وراء خططها ، فالامر اصبح مختلفا عن وضع ايام التحضيرات لضرب العراق ، والواقع يقول ان ايران قادرة على تلقي ضربة اولى واستيعابها ومن ثم الرد بضربة ثانية قد تكون موجهة الى القدرات النووية الاسرائيلية ، فضلا عن عقد صفقات اقتصادية كبيرة مع كل من روسيا والصين وبالتالي لن تغامر كل من الدولتين بمصالحها لصالح الولايات المتحدة الامريكية.

ولعل الاستنتاج الذي يترتب على هذه النتائج ان اطراف القوة الاقليمية (ايران الدول العربية اضافة الى الولايات المتحدة الامريكية) تجد نفسها امام تحديات كبرى ، غير متشابهة فالولايات المتحدة تواجه التحديات ازاء مشروعها في منطقة الشرق الاوسط الذي ظل يعاني من متناقضات عدة لاسيما في العراق وافغانستان ومشكلة التأثير الايراني ازاء كل من الدولتين وهي على مفترق طرق مع التوجهات الامريكية ، اما ما يتعلق كل من ايران والدول العربية نرى ان التحديات تفرض العمل على بناء اطار مفاهيمي جديد للعلاقات فيما بينها يتجاوز الاطر التقليدية التي كانت قائمة حتى انهيار القطبية الثنائية، فهناك عوامل تشجع على تبني اطار جديد للطرفين واحد هذه العوامل وربما اهمها هو المستقبل حول اهمية بناء اطار جديد للعلاقات بين الدول الاسلامية .

الهوامش والمصادر

- ١ - جريدة الشرق الاوسط العدد ٢٨٦٠٢٨٦٠٢٨٦ يناير ٢٠٠٧
- ٢ - J0chem,Hippler , DIE Welcordnug,Hamburg Konkert Literature Verlay,1991 P87
- ٣- انظر على سبيل المثال صيمويل هنتغتن ،
- ٤ - د . ساجد شرقي المشعان ، الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة ، رسالة دكتوراه منشورة ، ٢٠٠٦ ، ص ١١٩ فما فوق .
- ٥ - ماجد كيالي ، النظام الاقليمي في الشرق الاوسط ومفهوم التسوية الامريكية -الاسرائيلية - مجلة الفكر الاستراتيجي العربي ، العدد ٤ ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٤
- ٦ - د . ساجد شرقي المشعان ، مصدر سابق ، ١٥٤- ١٦٥
- ٧ - حسن منيمة ، الحرب المقبلة على ايران في: [Http://Www.Iraqcp.Org/Members410070205w14:Htm](http://Www.Iraqcp.Org/Members410070205w14:Htm)
- ٨- ياسر الحريري ، الادارة الامريكية تعطي بعض العرب (المعتدلين) الدور الاقليمي في Www.Somod.Org/News/2251.Htm
- ٩ - <http://Www.Balasmaer.Com/Frrum/Showpost.Php>
- ١٠- للمزيد انظر د . ساجد شرقي ، الاستراتيجية الامريكية تجاه الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة ، مصدر سابق ، ص ٢٠٠ فما فوق
- ١١- ديفد مناشيري ، ايران والحرب في العراق في [Http://Arabic.Thawoproject.Com/Node/116](http://Arabic.Thawoproject.Com/Node/116)
- ١٢ - Humish Merae, The World In 2020 ,Harperce ColinsPublishers,London,1994, P24
- ١٣ - IbidP29
- ١٤ - Ibid
- ١٥ - نظام التشريع الايراني ومكانة تشخيص النظام في : <http://Www.Albainah.Net/Index?Function=Item&Iang>
- ١٦ - المصدر السابق
- ١٧ - انظر : حسن ميلاني ، سياسة ايران في الخليج ، في كتاب ايران والخليج ، البحث عن الاستقرار ، اعداد جمال سند السويدي ، ابوضبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٦ ، ص ١٣٥-١٣٦
- ١٨ - المصدر السابق ، ص ٩٨
- ١٩ - المصدر السابق ، ص ١٠٢

- ٢٠ - جميع الاحصاءات اخذت من المصدر السابق ، ص ص ١٠٥-١٠٦
- ٢١ - 21-Thihami,Sh,Between Theory And Fact, War,Security,Fall,1992.P13
- ٢٢ - امير طاهري التحضير للحرب والسير نحو ازمة اقتصادية ، صحيفة الشرق الاوسط ، العدد ١٠٣٥٦ ، ٢٠٠٧ ،
- ٢٣ - Thlham,Op,Cit,P15
- ٢٤ - Ibid
- ٢٥ - Ibid
- ٢٦ - حسن ميلاني ، سياسة ايران في الخليج ، مصدر سابق ، ص ١١٢
- ٢٧ - المصدر السابق
- ٢٨ - ديفد مناشيري ، مصدر سابق
- ٢٩ - صوت العراق ٢٠٠٧/٤/٧
- ٣٠ - المصدر السابق
- ٣١ - صحيفة نيويورك تايمز ٢٠٠٧/٥/٢٢
- ٣٢ - صوت العراق ، مصدر سابق
- ٣٣ - اشرف محمد ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في [Http://Albainah.Net.aspx](http://Albainah.Net.aspx)
- ٣٤ - س. ساجد شرقي ، الاستراتيجية الامريكية تجاه الشرق الاوسط بعد الحرب الباردة ، مصدر سابق ، ص 204
- ٣٥ - علاء عبد الوهاب ، الشرق الاوسط الجديد ، سيناريوهات الهيمنة ، دارالشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٨ وما بعدها
- ٣٦ - المصدر السابق ، ص ٩٨
- ٣٧ - صحيفة شيحان الاردنية ، مصدر سابق